

Ego dialectic, the other between the linguistic lesson and the psychological depth

Dr. Kamel Benalia¹, Dr. Yahia Zarga²

¹Ziane Achour University of Djelfa (Algeria), kamelben1412@gmail.com

²Ziane Achour University of Djelfa (Algeria), yahiazargua17@gmail.com

Received: 03/2023, Published: 03/2023

Abstract:

Since language and literature cannot be detached from the psychological aspect, and we will not exaggerate if we say that it is the translation and expression of that sentence of feelings, emotions, impulses, and psychological impulses inherent in the human soul, it is not surprising that this close and deep-rooted relationship has been the focus of attention, study, and research of psychological or linguistic researchers, in order to reach these hidden links between the different souls and within them, and between their expressions and pronunciations, Through this we can uncover the secrets of the human self by deciphering symbolism and analyzing the psychological depth behind its writings and writings in its linguistic and literary heritage in general, So our research paper under the title " Ego dialectic, the other between the linguistic lesson and the psychological depth" It's a modest contribution to showing this relationship, and enriching the psychological linguistic studies that build, and address the problems of our reality Biscecolinguism, through an analytical reading of the official and popular texts.

Study problem:

- What is the concept of "ego" and "otherness" between the psychological and the linguistic ?
- What is the nature of the controversy Between the "ego" and "otherness" in literature and language texts?
- Does the literary and linguistic product reflect the truth, the psychological depth of the human Self ?
- What is the relationship between human psychology and language?

In trying to answer these problems, we may have followed this plan: Introduction, The notion of ego and otherness among linguists and critics, The concept of the ego and otherness for psychologists, the psychological dimensions of the ego and the other in the official text "Eloquent Poetry as a Model" , the psychological dimensions of the ego and the other in the popular text "Popular Example Model", Conclusion.

Approach: Analytical descriptive approach

Keywords: Ego And the other, the psychological dimension, The language lesson, the popular proverb, Official Text.

جدلية الأنا والآخر بين الدرس اللغوي والعمق البسيكولوجي

د. كمال بن علي¹، د. يحيى زرقة²

¹ جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر)، kamelben1412@gmail.com

² جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر)، yahiazargua17@gmail.com

ملخص:

بما أنه لا يمكن للغة والأدب أن تكون بمعزل عن الجانب النفسي، بل لن نبالغ إن قلنا أنها ترجمة وتعبير عن تلك الجملة من الأحاسيس والمشاعر والدوافع والتوازن النفسية الكامنة في الذات البشرية، فإنه ليس من الغريب أن تكون هذه العلاقة الوطيدة والمتجذرة، محط اهتمام الباحثين النفسانيين أو اللغويين ومناطق دراستهم وبجتهن، للتوصل إلى تلك الروابط الخفية بين محتلجات النفوس ودواخلها وبين عباراتها وألفاظها، والتي من خلالها يمكننا أن نكشف عن أسرار الذات البشرية بفك الرمزية وتحليل العمق النفسي الكامن وراء كتاباتها وملفوظاتها في تراثها اللغوي والأدبي عموماً وعليه فإن ورقتنا البحثية هاته الموسومة بـ "جدلية الأنا والآخر بين الدرس اللغوي والعمق النفسيولوجي" هي مساهمة متواضعة لبيان هذه العلاقة، وإثراء الدراسات اللغوية النفسية التي تبني وتعالج مشاكل واقعنا النفسيولوجية، من خلال قراءة تحليلية في النصين الرسمي والشعبي.

إشكالية الدراسة:

- ما هو مفهوم الأنا والآخر بين الدرسين النفسي واللغوي؟
 - ما طبيعة الجدل بين الأنا والآخر في النصوص اللغوية والأدبية؟
 - وهل يعكس المنتج الأدبي واللغوي على الحقيقة، العمق النفسي في الذات البشرية؟
 - ما طبيعة العلاقة بين نفسية الإنسان ولغته؟
- وانطلاقاً في محاولة الإجابة على هذه الإشكاليات، فقد تتبعنا الخطة الآتية: مقدمة، مفهوم الأنا والآخر عند علماء اللغة والنقاد، مفهوم الأنا والآخر عند علماء النفس، الأبعاد النفسية للأنا والآخر في النص الرسمي "الشعر الفصيح أنموذجاً" الأبعاد النفسية للأنا والآخر في النص الشعبي "المثل الشعبي أنموذجاً"، خاتمة.
- المنهج المتبع:** المنهج الوصفي التحليلي.
- الكلمات المفتاحية:** الأنا والآخر، البعد النفسي، الدرس اللغوي، المثل الشعبي، النص الرسمي.

1. مقدمة:

لقد حظيت الشخصية الإنسانية بكل مركباتها والقضايا المتصلة بالذات، ومفهوماً ومفهوم الآخر؛ باهتمام كثير من علماء النفس جنباً إلى جنب مع علماء اللغة ودارسيها، وذلك أن للأنا والآخر مثولين؛ أحدهما مثول نفسي يعكس طبيعة السلوك البشري ودوافعه ومقتضياته، والثاني مثول لغوي يعبر ويترجم ما سلف إلى وحدات لغوية وتركيب تعبيرية

يمكن أن نصفها بأنها تمثيلات لغوية ملفوظة أو مكتوبة، لتلك الأبعاد والخلفيات والدوافع النفسية؛ التي تعبر عن الذات أي "الأنا" ورؤيتها وتفاعلها مع الغير أي "الآخر".

ومما يؤكد على هذه الأهمية، كثرة علماء النفس الذين تناولوها في نظرياتهم الشخصية وكذلك في دراساتهم وبحوثهم النفسية والتربوية مثل: فرويد، كولي، وأدلر، وروجرز، وألبورت، وليكي وسينج، وكومبز، ووليم جيمس، وبورنس وفرنون... وغيرهم، وكذا دارسو اللغة والنقاد، الذين اعتنوا بتجسد هذين المفهومين داخل النصوص اللغوية الرسمية والشعبية، ضمن بنية نسقية لها دلالاتها البلاغية وفلسفتها اللغوية، وجمالياتها الأدبية، كعبد المالك مرتاض، الغدامي إدوارد سعيد... وغيرهم .

ولكننا على الرغم من هاته الأهمية، ويجب علينا قبل أن نخوض غمار بحثنا للكشف عن العلاقة بين الأنا والآخر كبعد نفسي ومثول لفظي أو كتابي، أن نوضح مفهوم هاته الثنائية الجدلية في الدرسين اللغوي والنفسي، حتى نكون تصوّراً واضحاً لهما فيسهل علينا فهم نظرة أهل الاختصاص إليهما فنعرف القصد من توجيهاتهما ومكان تحليلاتهما ومغازيها.

2. مفهوم الأنا والآخر عند اللغويين والنقاد:

2.1. لغة:

أ – الأنا:

وردت كلمة "أنا" في معجم لسان العرب بمعنى: " اسم مكني وهو للمتكلم وحده، وإنما بنى على الفتح فرقا بينه وبين أن التي هي حرف ناصب للفعل أما الألف الأخيرة، إنما هي لبيان الحركة في الوقف"⁽¹⁾، أما في المعجم المحيط : " ضمير رفع منفصل للمتكلم مذكراً ومؤنثاً، مشاه وجمعه نحن"⁽²⁾.

ب – الآخر:

لمصطلح الآخر عدّة دلالات في شتى ميادين المعرفة المختلفة، فبالتنقيب في بعض المعاجم العربية نجد أنه ورد في [اللسان العرب] لابن منظور في قوله: " رجلٌ آخر ، وأصله أفعَلٌ من التأخر، فلما اجتمعت همزتان في حرفٍ واحدٍ استقلتا فأبدلت الثانية ألفاً لسكونها وانفتاح الأولى قبلها ، قال الأخفش: لو جعلت في الشعر آخر لا يحقق أحد همزة آخر ، ولو كان تحقيقاً حسناً لكان التحقيق حقيقياً بأن يُسمع فيها ، وإذا كان بدلاً البتة وجب أن يجري

على ما أجرته عليه العرب من مراعاة لفظه وتنزيل الهمزة منزلة الألف الزائدة التي لاحظ فيها للهمز نحو عالم ، وصابر ألا تراهم لما كسروا قالوا أخر وأواخر كما قالوا جابر وجوابر ... وتصغير آخر أو يخر⁽³⁾.
ووردت لفظة الآخر في القرآن الكريم بفتح الحاء في القرآن الكريم في خمس عشرة مناسبة بصيغة المفرد نحو قوله تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ سورة الإسراء: الآية 22، ومنه قوله أيضاً : ﴿ وَأَمَّا الْآخِرُ فَيُضَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴾ سورة يوسف: الآية 41، ووردت بصيغة الجمع في اثنتين وعشرين مناسبة، منها خمس مرات مرفوعة والباقي في حال نصب وجر، نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ سورة الفرقان: الآية 04.

2.2. اصطلاحاً:

لكل نص أدبي أنه الأدبية التي تحدد من خلال تفاعل مجموعة الضمائر، التي تشكل مفهومها كلياً للأنما الأدبية داخل النص، التي تنشأ الوحدة في تعاقب دائم يضمن تأسيس وحدة ضمائية تربط العمل ربطاً يتسق وبناءه الأدبي بحيث تكون بمثابة الدال المراءغ، قد يسعى بالنص إلى الغموض، وبالمقابل تصبح الأنما الأدبية بمثابة تمثيل للغة داخل المنظومة النصية، تحيل على المتلفظ أو المتكلم، الذي يكون مبدع النص في أغلب الأحيان خاصة في الشعر الغنائي الذي ميز شعرنا العربي القديم⁽⁴⁾، وعليه فمصلح الأنما في العربية في المستوى النحوي يرتبط بمنظومة الضمائر⁽⁵⁾.
وتعد أكثر الفنون الأدبية قدرةً على تجسيد إشكالية الأنما والآخر، فهي من أقدر الفنون على تقديم تفاصيل الحياة بكل حقائقها وأوهامها، مما يُتيح الفرصة لصوت الأنما للتعبير عما يضطرم في الأعماق من مخاوف وآلام وأفكار إذ تستطيع أن تفتح أمام المتلقي طريق فهم الذات والآخر معاً، وكذا طرح ما يعترضنا من إشكالات تعانيها الأنما في مواجهة الآخر، كل ذلك يعكس تطور نظرنا إلى ذاتنا وإلى الآخر، مثلما يعكس أوهامنا وأفكارنا المسبقة التي كثيراً ما نجد أنفسنا أسرى لها. إذ تشكّل أسس تصرفاتنا وعلاقتنا مع الآخر⁽⁶⁾.

فالأنما " علامة مضمرة وفي توازنها يبنى أساس الأنما الأدبية داخل النص الأدبي... وتتجلى من خلال ثنائية الحضور والغياب في تعاقب يضمن تأسيس وحدة ضمائية، تربط العمل ربطاً يتسق وبناءه الأدبي"⁽⁷⁾.

أمّا الآخر فيرى سعد البازغي في كتابه [دليل الناقد الأدبي] أن (الآخر) في أبسط صور هو: "مثيل أو نقيض الذات أو الأنما، وقد ساد كمصطلح في دراسات الخطاب، سواء الاستعماري (الكولونيالي) أو ما بعد الاستعماري وكل ما يستثمر أطروحاتها مثل النقد النسوي والدراسات الثقافية والاستشراق"⁽⁸⁾.

فالآخر هو مثل الذات (الأنا) وقد كان موضوعاً شائعاً في الدراسات النقدية في المرحلة الاستعمارية وما بعد الاستعمارية.

3. مفهوم الأنا والآخر عند علماء النفس:

أ- الأنا:

يُستعمل مصطلح الأنا في عدّة حقول ومجالات معرفية كعلم النفس والفلسفة وعلم الاجتماع وغيرها، وعُرف على أنه " تعبير يعني الذات الواعية، وقد يُستخدم المصطلح ليشير إلى تلك السمة أو ذلك المكون من مكونات الشخصية الذي يُسيطر بأكثر الطرق مباشرة وفورية على الفكر والسلوك، فهو الأنا التي تشعر وتفكر وتميز الشخص عن الذات الشخصية الأخرى"⁽⁹⁾.

ويرى المفكر علم النفس التماسوي سيغموند فرويد " أن (الأنا) يشرف على الحركة الإرادية ويقوم بمهمة حفظ الذات وكبح الرغبات الغريزية التي تنبعث من الهو ويكبت ما يرى هناك ضرورة لكتبته ، ف(الأنا) تمثل الحكمة وسلامة العقل"⁽¹⁰⁾.

ب- الآخر:

إن الحديث عن مصطلح الأنا يستدعي بالضرورة التكلم عن مصطلح الآخر؛ فهما متلازمان الحضور، فلا وجود ولا قيمة لطرف في غياب الطرف الثاني، وقد عُرف " الآخر في أبسط صوره هو مثل أو نقيض الذات أو الأنا، وقد ساد كمصطلح في دراسات الخطاب.... ولا شك أن مفهوم الآخر يتأسس على مفهوم الجوهر؛ أي أن ثمة سمة أساسية جوهرية تحدد الذات، مما يجعل الآخر مختلفاً عنها، وبالتالي لا ينتمي إلى نظامها "⁽¹¹⁾.

ويرى المحلل النفسي الفرنسي جاك لاكان: " أن المرء لا يتشكل كفرد دون علاقة تربطه بالآخر، فالطفل حين يرى صوراً في المرأة فإنه لا يزال يستبدل صورة الآخر هذه بنوع من الأنا، ولكنه تدريجياً يدرك ان الصورة محض صورة خارجية بالنسبة للذات ... وتتحول الصورة الى علاقة للأنا وهذه هي مرحلة نظام الرمز صورة في المرأة رمز أو علاقة أو دال يشير إلى الأنا"⁽¹²⁾.

صورة الآخر؛ فهي على هذا الأساس عبارة عن مركب من السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد ما أو جماعة ما إلى الآخرين الذين هم خارجها "⁽¹³⁾.

4. الأبعاد النفسية للأنا والآخر في النصّ الرسمي "الشعر الفصيح أنموذجاً":

4.1. شعر أبي الطيب المتنبي:

لقد عَدَّ الغَدَامِيُّ شخصيَّة المتنبي شخصيَّة نسقيَّة، كان لها تأثيرها الفعَّال على ثقافتنا وفكرنا وخطاباتنا الشعريَّة، وذلك لكون النسق العربيُّ هو نسقُ الشعر ومازال هو الفاعل الأخطر في تكوينه أوَّلًا وفي ديمومتنا ثانيًا⁽¹⁴⁾. ولعلَّ المتنبيَّ حسب الغَدَامِيَّ هو المترجمُ الأكبر للضمير النسقيِّ، ممَّا يجعله شاعرنا الأوَّل "الأب النسقي" ⁽¹⁵⁾، والمقصود بالضمير النسقيِّ تلك "الأنا النسقيَّة" التي كانت خلف اختراع الفعل الذي يكتسبُ ميزاتٍ خاصَّةً به تُميِّزه عن غيره كما تُعطيه حقَّ تمييز ذاته عن الآخرين، فنجدده يقول:

وإني لنجمٌ تهتدي صُحْبتي *** إذا حَال من دون النُجوم سحابُ
غنيٌّ عن الأوطان لا يستخفي *** إلى بلد سافرتُ عنه إيابُ⁽¹⁶⁾

تُشيرُ الأبياتُ إلى أنَّ المتنبيَّ يُعلي من ذاته إلى حدِّ الاعتقاد بأنَّه مُنَزَّه من كلِّ عيبٍ، فكأنه يترجم بقوله علَّة نفسية كامنة قد تكون الغرور، وهو حالة نفسية كانت هي الدافع لهاته التعابير أن تشق طريقها إلى العلن، ويشيرُ الغَدَامِيُّ إلى أنَّ هذه الأنا الفحولية المتعالية؛ قد تحوَّلت مع مرور الزمن إلى نسقٍ ثقافيٍّ ترسَّخ في الوجدان الثقافيِّ للأمة في الذات الثقافية للأمة، وهذه الذات التي يجوز لها ما لا يجوز لغيرها هي ذاتٌ فوق القانون و القاعدة، وهي مرجعُ ذاتها مُدَّ كانت هي الحجةُ نفسها يُحتجُّ بها ولا يُحتجَّ عليها وباطلها حقُّ، وإن رأت حقَّ الآخرين باطلاً فلها ذلك⁽¹⁷⁾.

وحسب الغَدَامِيَّ؛ فالمتنبيُّ شاعرٌ نسقيٌّ للنخاع، حيثُ نجدُه يتتبَّع حركة النسق المضمرة عنده فيقول: «هي حركةٌ تُسلَّب من الخطاب صفات المعقوليَّة والمنطقي، وتجرَّد اللُغة من قيم العقل والمسؤولية، وتجعلُ الذات المتكلِّمة ذاتاً أنانيَّة ومصلحيَّة وظرفيَّة وتندثرُ لتمرير هذا بعباءة الجاز البلاغيِّ، مع توظيف البلاغة توظيفاً ذاتيًّا، ويصحبُ ذلك إعمالُ شرط الرهبة والرغبة...»⁽¹⁸⁾.

وبحسب هذا القول؛ فالمتنبيُّ شاعرٌ يتَّخذ من البلاغة وجماليَّاتها وسيلةً للتَّغيب في العطايا مقابل المدح وللتَّهيب مقابل الكفِّ ويصفُّه بأنَّه أقلُّ الشعراء اهتماماً بالإنسان الآخر وأكثرُ تحقيراً له⁽¹⁹⁾ ولإثبات هذا يَعرِّضُ الغَدَامِيُّ النماذج الآتية من شعر المتنبي والتي تُثبتُ ما ذهب إليه من وصفٍ له بإفراطه في ذاتيته، وفي أناه الطَّاغية، وفي تحقيره للآخرين، وكأنَّ أراد أن يصف المتنبيَّ بأنَّه شخصٌ معتلٌّ نفسي دفعته علَّة الغرور والجبروت والغلو في الأنا إلى أن يكون تعبيره في شعره عبداً لها، فلا ينفك عن التعبير عنها بكل جرأة وشجاعة، فنجدُه يقول:

أيَّ محلٍّ أرتقي *** أيَّ عظيمٍ أتقي

وكلُّ ما خلق الله *** و ما لم يخلق
مُحتقِرٌ في همّتي *** كشعرة في مفرقي⁽²⁰⁾
و تتعاضدُ الأنا عند المتنبّي؛ حتى أنّه يجعلُها مترقّةً عن الآخرين؛ وعن خطاياهم فيقول:
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم *** ويكره الله ما تأتون و الكرم
ما أبعد العيب و التقصان عن شرفي *** أنا الثريا وذان الشيب والهرم⁽²¹⁾
ويقول أيضاً:

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ *** فهي الشهادة لي بأنّي كامل⁽²²⁾

يصفُ المتنبّي بالنقص كلّ من تجرّأ أن يذمّه، ويصفُ نفسه بالكمال، وهنا تتجلى الأنا النسيّة وفي المقابل نجدُ
يذمُ الآخرين فهل هذا يعني أنّه ناقصٌ؟ وهي شهادةٌ لمذمومٍ بالكمال؟ وهذه هي صفّةُ الفحول، إذ يُجوزون لأنفسهم ما
لا يجوزُ لغيرهم، وهم مُنزّهون عن النقد والتخطئة .

ويُخلّصُ الغدّاميُّ إلى القول: بأنّه من الوجهة الأدبيّة، فالمتنبّي مبدعٌ عظيمٌ، ومن الوجهة الثقافية فهو شحاذٌ
منافقٌ كبيرٌ، ونضيفُ أنه من الجانب النفسي معتلٌ غارقٌ في ذاتيته حدّ الغرور الذي لا استفاقة منه، فأبيّ القراءات
نختارُ؟ وهنا يُرجّحُ الغدّاميُّ الوجهة الثقافية على الأدبيّة، لأنّ هذه الأخيرة أخذت حظّها، واليوم نحن بحاجةٌ إلى قراءة
نفسيةٍ إلى جنب القراءة اللغوية الأدبية والقراءة الثقافية للكشف عن الدوافع والمكونات وراء هاته التصوص، والاطلاع
جيدا على طبائع هؤلاء المبدعين وبيئاتهم الاجتماعية .

4.2. شعر نزار قبّاني:

لقد كُنّي نزار قبّاني بشاعر المرأة، لأنّ موضوعاته دائماً متعلّقةٌ بالمرأة، سواءً أكانت ذات دلالةٍ حقيقيةٍ أو كأن
يتّخذها رمزاً، وكان من بين الذين انجذبوا للمرأة في صورتها المادية (الجسد) غزلاً و تشبيهاً، فموضوعُ المرأة كما يقول
الغدّاميُّ: "... استغلّه بأقصى غايات الاستغلال واستثمره استثماراً مادياً مُربحاً، ومُروّجاً؛ لأنّه قدّم للفحول لحماً طريّاً
وعبيطاً يتلمّظونه وبتبحّخون به وبتفوحاتهم الجسدية المظفّرة في متعةٍ تامّةٍ بالجماليّ والبلاغيّ، وفي عمى ثقافيٍّ تامٍّ"⁽²³⁾.
نزار فحلٌ يرثُ أسلافه من الفحول، فإنّه سيضعُ نفسه في الموضع المتعالي وموضع الغلوّ الفاحش، أليس يقول:
إنّ الشاعر هو الإنسانُ الإله، وأنّه يحملُ بين رثيته قلب الله، وأنّ على الناقد أن يقف موقف المتعبّد أمام مُبدعاتِ الفحلِ

الأسطوري...؟ بما أنه يحمل هذا الموروث الفحوليّ بكامل نسقيته؛ فإنه حتمًا سيتمثل هذه الفحولة شعريًا، وما هو يُنصّب نفسه مانحًا عبده القراء و القارئات لجينات هي جناؤه ونيران هي نيرانه...»⁽²⁴⁾.

وهذا المنح تعكس إلى جانب ذاتيته الطاغية وأناه المتكبرة المتعالية، ميولاته النفسية والشهوانية للعظمة والافتخار حيث يقول نزار قباني:

إني خيرُك فاختاري

ما بين الموتِ على صدري

أو بين دفاترِ أشعاري

لا توجدُ منطقةٌ وسطى

ما بين الجنةِ و النارِ⁽²⁵⁾

فنزار قباني يخضع كغيره من الشعراء إلى "الأنا النسقية" والتعالّي والتفرد والتي تُعدُّ أهمّ الأنساق التي تتمثلها الفحولة عند نزار، وما هو في هذا البيت يتمركز حول ذاته ويُعتدُّ بها إلى درجة التوحيد التامّ معها و نستشف ذلك من خلال قوله:

مارست ألفَ عبادةٍ و عبادةٍ *** فوجدتُ أفضلها عبادة ذاتي⁽²⁶⁾.

وفي هذا يقول الغدّامي: "لقد تجلّت فحولية نزار عبر خطابه الذاتي الذي يُخاطب فيه نفسه أكثر من مخاطبته للآخر...".

ويحاول الغدّامي أن يُخفّف من ذنبٍ ومرض نزار قباني النفسي الناجم عن هوسه بذاته، فنجدّه يقول: "...على أننا نحفظُ دائماً بفكرةٍ أساسية، وهي أنّ هذه الفحولية ليست من إنتاج نزار قباني بقدر ما هي موروث ثقافيّ استلهمه نزار، وانساق وراءه وخضع له، كما أننا لن نغفل عن فكرةٍ جوهرية، وهي أننا نحنُ كقراءٍ مسؤولون مباشرة عن ترسيخ هذه الصورة، وخاصةً - نحن - جيل نزار وقراءه المباشرين الذين صقّقنا له و بحمهرنا من حوله و صرنا معه مُساهمين في صناعة هذا النسق..."⁽²⁷⁾.

من خلال هذين النموذجين من الشعر الفصيح الذي يشكل جانباً مهماً من جوانب النصوص الرسمية نستشف الترابط البالغ بين التعابير ومكامن النفوس، ونرى بوضوح تأثير العلل النفسية والمكونات الذاتية في نظرة الأنا للآخر بل حتى في رؤيتها لذاتها، فلا يكون اللفظ إلا أداة تتمثل فيها الأنا أو تمثّل فيها الآخر، تمثلاً جلياً للعلن حسب

ما يطغى عليها من مشاعر وأحاسيس؛ وحسب جوهر تركيبها التي جبلت عليها، والتي لا ننكر أن للتنشئة الاجتماعية دور كبير فيها .

5. الأبعاد النفسية للأنا والآخر في النص الشعبي "المثل الشعبي أنموذجا":

إنّ لثنائية الأنا والآخر أو الأنا والهو، حضورا ملفتا في أمثال الشعبية فهي تمثل ثنائية جدلية داخل الفكر المحلي لذلك عملت الأمثال على توظيفها وإبرازها بشكل يعكس بعدها الفلسفي، وبعدها النفسي، بأسلوب طريف يجمع بين صورها المتناقضة والمتضاربة معا، ليوضح معالم الثنائية العجيبة في ذهنية ونفسية الجمع الثقافي في أي بيئة كانت. فتبرز الأمثال صورة الأنا والآخر على عدة مستويات:

5.1. الأنا المتعالية على الآخر:

كقولهم: إذا كنت أنا مير، وأنت مير وبناه سواق²⁸ لحمير؟! وبالمقابل تنظر للآخر نظرة دونية نظرة التابع الذليل فالمثل يبرز هذا التعالي في خطاب الأنا للآخر بأسلوب الإنكار المشيع بالازدراء والاحتقار، بقولها أنه إن كنا جميعا سادة فمن الخادم الذي يرعى الحمير، كما ينظر إلى الآخر نظرة العالم إلى الجاهل والحاذق إلى البليد كقولهم: أنا نوريلو⁽²⁹⁾ في القمر، وهو يخزُر⁽³⁰⁾ في صبعي، ومعناه أنني أشير واصفا القمر وهو ينظر إلى إصبعي ظانا أنه المقصود، ونظرة المثقف الهين اللين إلى المتعصب الجلف، وهذا في قولهم: أنا نقلو عتروس⁽³¹⁾، وهو يثلي يحلب، ومعناه أن الآخر وصل من درجة البلادة والتعصب إلى أن يسألني عن العتروس وهو التيس، إن كان يعطي حليبا، كما ينظر إليه نظرة القوي إلى الضعيف وهذا في قولهم: أنا وبالسيف⁽³²⁾ لا أعطأوهالي⁽³³⁾، ومعناه أنني أنا بقوتي وجاهي وحصلت عليها بشق الأنفس، فمن أنت لتطلبها! وهذا المثل قيل في رجل ذهب ليخطب امرأة لغيره فخطبها لنفسه.

ففي هاته الأمثال تتجلى الأنا المتعالية التي تنظر للآخر نظرة دونية معبرة عن دواخل نفسية، فلا يمكن أن تكون هاته التعابير بمعزل عن نفسية القائل بل هي انعكاس واضح لها.

5.2. الأنا المظلومة من الآخر:

فقد وظفت الأمثال الأنا المظلوم؛ أي الأنا الذي يتاجر بمظلوميته ويحاول أن يجعل من الآخر في موضع القاهر الظالم، وما هذا التوظيف إلا شكل من أشكال الانغماس في الذاتية والأنا الرفيعة بصورة خفية، فبدل تزيين الأنا بصورة مباشرة تُقدم كنوع من التستر على تقبيح الآخر، لتعكس بذلك الامتداد والعمق البسيكولوجي وتلك العقدة النفسية الكامنة في الذات البشرية، فهذه الأنا تصور نفسها في الخطاب الشعبي، بصورة الذي يسعى دائما لصالح

الغير، والغير يقابل مساعيه بالتكرار والجحود، بل بالكيد فقد قيل: أنا نحفرلو⁽³⁴⁾ في قبر أمّو، وهو هاريلي⁽³⁵⁾ بلفاس، أي؛ أني اسعى في قضاء حوائج الغير وهو يعسر الأمر علي، بل يسعى لأذيتي، فقد قيل: أنا بالطّعمه⁽³⁶⁾ لفمّو، وهو بلعود لعيني، والآخر ماكر ومخادع ولكنه لن يتمكن مني فأنا الفطن، وفيها هذا المعنى قيل: أنت عليك بترفاق⁽³⁷⁾ الخبزه وأنا علي بماكلة⁽³⁸⁾ مرتين، فهاته الصور تبرز الصراع السائد في بيئة المثل بين الأنا والآخر، حيث تعمل نفسية الأنا على البروز على أنقاض الآخر.

5.3. الأنا الرحيمة المشفقة على الآخر:

توظف الأمثال الأنا في صورة مناقضة لما ذكر سابقا، وهنا يمكننا أن نلتمس حجم التناقض الذي تعيشه الأنا في تعاملها مع الآخر، بحيث تتغلب بعض النوازع النفسية عليها فتظهرها في صورة الحب المشفق الذي كلّه فخر واعتزاز بالغير، وهي تعابير لغوية صريح في نقلها وتعبيرها عن كمية هذا التضاد النفسي والعاطفي، الذي تعيشه النفس البشرية اتجاه غيرها، وخاصة وأنها تعابير شعبية عفوية لا تكلف فيها، فقد قيل: إذا كان خويا سبع، يجعلني أكعالتو⁽³⁹⁾، وقيل: بنت عمي تلبس، وأنا نفرح، فالأخ وبنت العم هما الآخر، كلما زادت قرابته كلما سرتني أن أكون تابعا له ما دام محل فخر، وكلما فرحت لنجاحه وظفره، بل وصل الأمر أن تكون الأنا متحالفة مع الآخر الأقرب ضد الآخر الأبعد، فقيل: أنا وخويا علي بن عمي وأنا وبن عمي علي البراني⁽⁴⁰⁾، وهذه الصورة هي مشتقة من صورة الأنا المتألّفة والمنحلّة في بيئتها الاجتماعية، التي ترى نفسها لبنة وجزء من الآخر الذي تمثله العائلة والقبيلة والعشيرة بل حتى المجتمع، فتصير مؤثرة للغير على نفسها فقد قيل: لحمار حماري وأنا نركب من لور⁽⁴¹⁾، وفي هذا المثل معنى الإيثار الذي تمارسه الذات مع الآخر، فعل رغم من تملكها إلا أنها تقبل التأخير، وتترك الأفضل للغير وهذا نجده في ممارسة الضيافة، فقد قيل: القمح البيدي⁽⁴²⁾ ناكلو نا ووليدي، والقمح الفاسي⁽⁴³⁾ ناكلو أنا والناس، فالقمح البيدي أقل جودة من الفاسي، ومع ذلك يأكل الأقل جودة مع أهله ويقدم الأفضل للغير، بل تصل حد استعمال ضمير الجمع المتكلم، بدل الأنا، في خطابها تعبيرا عن الشعور بالانتماء وقد قيل في هذا المعنى: رانا نطبعوا⁽⁴⁴⁾ في الكاليش⁽⁴⁵⁾، وقيل: رانا في الحرث أنصاف⁽⁴⁶⁾....

إلى غير ذلك من أشكال التعبير التي تبرز حركية ثنائية الأنا والآخر وجدليتها التابعة من المد والجزر النفسي الذي يحركها داخل المثل الشعبي، ومنه داخل المنظومة الفكرية والثقافية الجمعية في كل بيئة حسب ما يميزها.

6. الخاتمة:

من خلال ما سبق يُمكننا وضعُ تصور واضح للعلاقة بين الأنا والآخر داخل إطار لغوي نفسي، حيث يُمكننا أن نصفها بأنها علاقة متوترة متناقضة يطغى عليها طابع الصراع لإثبات الوجود والكيونة والتّملك، كما تتخللها جوانب عاطفية تعكس الجانب الإنساني والاجتماعي للذات البشرية، وتوصلنا أيضا إلى أن الجانب النفسي يشكّل عاملا فارقا يصاحب كل مستويات هذا التّمثل سواء في شقه الإيجابي أو السلبي، فيستحيل للأنا التي ترفع نفسها مرتبة الألوهية وتنزهها عن الزلات وتزدرى الآخر وتحتقره، ثم تجدها تدعي الضعف وتركب قارب المظلومية، ولا تكاد تتمثل من هذا حتى تجدها تتقمص دور الملائكية لتجسد الرحمة الإنسانية في أروع صورها، كما يمكن أن تجدها في صراع الأنا مع الأنا حينما يساورها الشك في جوهرها، يستحيل أن لا يكون من وراء ذلك كلّ؛ نزوات ودوافع وخلفيات وربما علل نفسية نابعة من عمق الذات البشرية، يتوجب الوقوف عندها ودراستها جنباً إلى جنب مع تمثّلاتها ومظاهرها اللغوية دراسة جادة وجديدة؛ حتى نتوصل إلى فهم سليم لها، بمعزل عن نظرية الاصطفاء والتّفضيل، وثقافة الأحكام الجاهزة التي سيطرت على **المخيال الثقافي الجمعي**⁽⁴⁷⁾ للإنسان، كما يدعو إلى تجاوز اللاوعي الثقافي والفكري؛ والذي يُقصد به المخزون الإيديولوجي المركّب في عقل الإنسان، والذي يُسيطر بقوة الدّعم وخراس الثقافة على عملية الإنتاج الفكريّ له، ويقود سلوكه في مجالات الحياة المختلفة؛ ومن سليات اللاوعي الثقافي أنّه لا وعي مؤثّر ومتوتّر دوماً، إنّهُ يُساهم في بلبله نظرنا للواقع؛ ويُساهم في سرعة قبولنا للتّيارات التي تُهاجم العلم والسّببية والدّعوة إلى العقلانيّة المحضّة⁽⁴⁸⁾.

وعليه فالأنا والآخر هي جدلية تمارس على مستويين يكملان بعضهما لا ينفصلان ولا ينفكان، مستوى بيسيكولوجي ومستوى لغوي، فمن أراد للتوصل إلى كنه هاته الجدلية في أي خطاب كان في أي بيئة ومن أي فرد، فلا غنا له عن دراستها وفق هذين البعدين.

الهوامش:

- (1) : ابن منظور، لسان العرب، مج1، مادة (أنن، أنى)، دار صادر، بيروت ، لبنان، ط:4، 2005، ص177.
- (2) : بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، (د.ط)، 1987، ص18.
- (3) : ابن منظور، لسان العرب، ص78.
- (4) : العيد جلولي، جمالية الأنا في الشعر المغربي القديم، أطروحة دكتوراه، جامعة ورقلة، الجزائر، 2013، ص12.
- (5) : عباس يوسف الحداد، الأنا في الشعر الصوفي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية ، سوريا، ط:2، 2009، ص187.
- (6) : منير شترات، وجازية فرقاني، جدلية الأنا والآخر في ترجمة رواية التلميذ والدرس لمالك حداد إلى العربية، مجلة جسور المعرفة الجزائر 2020، المجلد06، ص322.

- (7) : رضوان جنيدي، جماليات الأنا في الشعر المغربي القديم، دار الأيام، ط1، عمان، 2015م، ص24.
- (8) : سعد اليازغي، ميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، المغرب، 2002، ص21.
- (9) : إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدّين والتعاضدية العالمية للطباعة والنشر، تونس، (د.ط) (د.ت)، ص47.
- (10): أنس شكك، أسرار الشخصية وبناء الذات، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2009، ص30.
- (11) : سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق، ص21-22.
- (12) : مرجع نفسه، ص331.
- (13) : أبو العينين فتحي، صورة الذات وصورة الآخر، بحث من كتاب صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1999.
- (14) : عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 03، 2005 ص 93.
- (15) : المصدر نفسه، ص125.
- (16) : عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، مج1، ج1، 2001، ص221.
- (17) : عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، مصدر سابق، ص130.
- (18) : المصدر نفسه، ص 168.
- (19) : المصدر نفسه، ص168.
- (20) : ناصيف اليازجي، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، دار صادر، بيروت لبنان، ط 1، مج 1، دت، ص141.
- (21) : عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، مرجع سابق، ص66.
- (22) : أبو الطيب المتنبي، ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبو البقاء العكبري، المسمّى "التبيان في شرح الديوان"، دار المعرفة بيروت، لبنان، ج3، ص295.
- (23) : عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، مصدر سابق، ص267.
- (24) : المصدر نفسه، ص 250 .
- (25) : نزار قباني، أحلى قصائدي، منشورات نزار قباني، ط1، دت، ص15.
- (26) : نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت لبنان، ط15، ج1، 2000، ص46.
- (27) : عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، مصدر سابق، ص 252.
- (28) : سواق = صيغة مبالغة من كلمة سائق، وهو من يقود الشيء.
- (29) : نوريلو = أوري له .
- (30) : يخزر = ينظر.
- (31) : عتروس = تيس.
- (32) : بالسيف = كناية عن القوة.
- (33) : أعطأوهالي = أعطوها لي.
- (34) : نحفرلو = أحفر له.
- (35) : هاريلي = فاز عني.

- (36) : الطَّعْمه = اللِّقْمه.
- (37) : ترفاق = ترفيق.
- (38) : بماكلة = بالأكل.
- (39) : اكالنتو = ذيله.
- (40) : البراني = الغريب.
- (41) : لور = الخلف.
- (42) : البَيدي = تسمية اصطلاحية في المنطقة لأحد أنواع القمح وهو قمح متوسط الجودة.
- (43) : الفاسي = تسمية اصطلاحية في المنطقة لأحد أنواع القمح وهو قمح ممتاز الجودة.
- (44) : نطبعوا = ندفعوا.
- (45) : الكاليش = عربة تجرها الأحصنة.
- (46) : أنصاف = مناصفة.
- (47) : المخيال الجمعي = هو مجموعة من الصور الذهنية التي كونها المجتمع في خيال أفرادها، والقيم المحددة لسلوك الأفراد، ثم يحاولون لإعادة إنتاجها بشكل يضمن لهم البقاء في هذا المجتمع أو ذاك، ويفرض هذا المخیال بنية فكرية شمولية معقدة تحبس العقول داخل سياق ثقافي وفكري ولغوي ... مغلق ومحدود، الأمر الذي يجعل البنى الخطابية تتفوق داخل فكر الجماعة.
- (48) : عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010 ص53-54.